# بين الشيوخ والشباب

للاســـتاذ عباس خضر

تجرى بين الحين والحين مناوشات بين أدباء الشباب وشيوخ الأدب ، تتمثل فى نقدات خفيفة من الشباب للشيوخ ، قليلها فى أعمال أدبية معينة ، وأكثرها تفنيد لمسلك بعضهم فى الإنتاج التافه المسف الذى يختلف عن سابق جدهم وإبداعهم ، ولبعد أكثرهم عن ملابسة الحياة وواقع الناس فيما يكتبون ، فهم — فى رأى الشباب وبعض الشيوخ — إما هاذرون مسفون ، أو معتصمون بالقباب الذهبية .. ولا أقول الأبراج العاجية .

وتتمثل تلك المناوشات أيضاً فى حملات بعض الشيوخ على الشباب ورميهم بالقصور فى التحصيل واستكمال الأداة ، وأنهم يحاولون هدمهم ، ويقولون إن عليهم أن يجدوا ويكدوا ليصلوا إلى ما يبتغون ويظفروا بما يأملون . وقد كتب الأستاذ المازنى مرة يتساءل : هل يحفر الشيوخ قبورهم بأيديهم ؟ ماذا يريد هؤلاء الشباب ؟ وضرب مثلا للشباب ما بذله من جهود فى التحصيل وما عاناه فى مقتبل حياته الأدبية .

وأخيراً كتب الأستاذ توفيق الحكيم مقالا فى «أخبار اليوم» بعنوان « آمال الجيل » أشهد أنه كان لبقاً فيه ، إذ بث فى أوله وفى وسطه روحا طيبا فى معالجة العلاقة بين الجيلين . ومما قاله « ما الذى سيحدث فى العشرة أو الخمسة عشر عاماً المقبلة ؟ هل الأمل معقود على طائفة من الأدباء يمكن أن تبرز بنوبتها فى الصف الأول ، لتمضى فى رفع مشعل الأدب والفكر فى هذا البلد ؟ ! أو أنه كما يقال ليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟ ! » وقال : « ونحن إذا جلنا اليوم فى حديقة الأدب المصرى لوجدنا أشجارا مملوءة بعصير الحياة ، مونعة بأزهار الفن .. لا ينقصها إلا أن ننظر إليها بعين الرضا ، وأن نتخيل ماستكون عليه غدا من سموق وارتفاع .. » ومضى يتساءل عن واجبهم نحو أعلام الغد ويعترف بانصرافهم عنهم إلى أن ختم المقال بقوله : « غير أن الشكلة التى تحيرنا دائماً هي : وسيلة المعونة ! .. أهى فى تجنيب الجيل الجديد تطاول الزمن ، ومهما جسمت التضحيات .

ولقد سبق للغرب أن شن هجومه على الشرق باسم الدين ، فى الحروب الصليبية ، وفى فلسطين نفسها ، فلم يهن العرب ، وبقيت الحرب بينهم وبين أوربا سجالاً قرابة قرنين من الزمن القاسى ، تمكنت فى نهايته من طردهم منها . وها هو التاريخ يعيد نفسه ، ويحمل إلى شواطىء فلسطين جماعات مشردة ، أفاقة ، مجرمة ، من المهوان على أنفسهم وعلى الحقيقة ، أن يحسب لهم العرب حساباً ، مهما امتلأت أيديهم من أدوات الفتك والتدمير والغدر والنذالة التى يطفح بها تاريخهم القديم والحديث ، إن جاز أن يكون لجماعات من هذا النوع تاريخ أو ما يشبه قصة تفوح منها روائح القبور والجيف .

إن العرب وهم شعب عريق فى المجد ، لن يقابل أعمال اليهود البربرية بمثلها ، بل يمضى وراء أولئك الأنذال أشباه الرجال ، يعلمهم درساً قاسياً ، ويهدم على رؤوسهم المجرمة ، صروح الأوهام ، متبعاً فى ذلك وصية أبى بكر ، أول خليفة ، لأول جيش يفيض على أطراف الهلال الخصيب من الجزيرة الجبارة ، من عدم الاعتداء على النساء والأطفال والشيوخ . وحينما احتل الصليبيون بيت المقدس ، تباهوا بأن خيولهم كانت تسبح فى دماء النساء والأطفال والشيوخ الذين استجاروا برحاب المسجد الأقصى فذبحوهم فيه . ولكن صلاح الدين الأيوبى حقن دماء أولئك القساة ، وسمح لهم بالخروج من بيت المقدس حين تم له طردهم منها

ولو عقل اليهود ، وقدر لهم ، أن ينظروا إلى قلوب العرب الكريمة الرحيمة ، قبل هذه البربرية ، لوجدوها تفيض بالحنان والرحمة ، ولتأكدوا من أنها أبر بهم وأحنى عليهم من تلك القلوب المستعمرة التى تتخذهم الآن وسيلة الاعتداء على حرية العرب الذين طالما أغدقوا عليهم العطف فى كل عصور التاريخ .

والعرب فى كافة أقطارهم ، مصممون على سحق الصهيونية المجرمة ، فى فلسطين ، لا حباً فى سفك الدماء ، ولكن دفاعاً عن الشرف العربى الذى استباحوه فى رعونة جنونية . والويل لهم حينما تدنو ساعة الإنتقام والثأر لشرف المسلمات فى دير ياسين ، اللائى طالما صرخن ، وا معتصماه ! وللعرب سبعة معتصمين الآن يثأرون للشرف المشاح . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

**على محمد سرطاوى**

أخطاءنا ، أم هي في إشعاره بأخطائه ؟ أهي في إعداده قبل الظهور ، أم في إظهاره قبل الإعداد ؟ ! ثم أولئك الذين قطعوا في فنهم شوطا وظهروا بعض الظهور ، وبدت مواهبهم متألقة كقطع النور ، أعلينا إزاءهم واجب ؟ ما هو ؟ وما السبيل إلى الوفاء به ؟ .. إنا جميعاً لعلى استعداد أن نؤدي واجبنا ولن نحجم عنه أبداً ، إذا عرفنا الوسائل وملكنا الأسباب ! »

ولا أراني في حاجة إلى قدر كبير من الألمعية لأدرك أن المقصود من المقال هو هذا الختام الذي انحسرت عنه تلك الروح الطيبة .. وقد استعان على إبراز هذا المقصود بعبارات التهكم من مثل « أم في إظهاره قبل الإعداد ؟ ! » كما استعان على ذلك بنقط التعجب وعلاماته التي حرصت على إثباتها في مواضعها . وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن هذا المقال من أسلحة كتلة الشيوخ . فهو يشبه « مشروع مارشال » من حيث أن كلا منهما يرمي إلى مكافحة الكتلة الأخرى .. فكأنه يقول : هؤلاء الشباب الذين يتطاولون علينا — ماذا يريدون منا ؟ وماذا نصنع لهم ؟

ولكي أثبت للاستاذ الحكيم حيادي وبراءة هذا الذي أكتبه من تلك الناوشات التي لن تفضي إلى حرب ذرية على أي حال — أسارع فأقرره على حيرته وحيرة الشيوخ فيما يصنعون لهؤلاء الشباب » وإن في هذه الثروة الأدبية الضخمة التي كونها أدباء الجيل ، لمدرسة الشباب ، وقد تخرجوا فيها فعلا ، فما هو الإعداد إن لم يكن هذا ؟ أيعقدون لهم فصولا في النصح والإرشاد ؟ ولا أخفي أنني أبتسم عند ما أسمع أن كبار الأدباء قصروا نحو الجيل الجديد وأن عليهم أن يأخذوا بيده .. إلى آخر هذا الكلام الذي لا أرجمه إلا إلى العمى ...

على أن هناك جانبا عمليًا لا يملك كل الكبار فيه شيئاً ، وهو النشر والتشجيع على الإنتاج . ومن الحق أن أقرر أن من بيدهم شيء من ذلك نراهم يشجعون كثيراً من الشبان الناضجين ويقومونهم ، وإن كان بعضهم يقصر عنايته على بطانته والسائرين في ركابه ..

ولا أريد أن أسترسل في ذلك الذي جرتني إليه دعوى ذوي الي والراغبين في الوصول دون عناء . أما ذوو الكفاية والكرامة من الشباب فما تلك دعواهم ، إنما هم يشقون طريقهم بأقلامهم ، لا ينتظرون من أحد معونة ولا يداً ، وهم إزاء ما يشاهدون من إسعاف الكبار ، يرون أنهم أقدر على تلبية روح عصرهم الجديد ، فإن لم يتيسر لهم ذلك الآن فهم في الطريق إليه .

أما النقد الأدبي ، وقد تخلى عنه الكبار لأسباب منها : المجاملات الشخصية ، والرغبة في الدعة الذهنية ؟ فإن الشباب يحاولونه . وتعوقهم عوائق كثيراً ما تأتي من الشخصيات التي يتناولها النقد ؛ فما يكاد يظهر نقد في صحيفة حتى يصيح المنقود : هؤلاء الشباب الذين لم يقرؤوا كما كنا نقرأ ... الخ — يريدون أن يهدمونا ... ولا أجد غضاضة في أن أصرح بأن مجاملات المشرفين على النشر من أكبر عوائق النقد الأدبي ، وهم يقولون لك : ترفق ، ولا تكن عنيفاً . أكان أساتذتنا أدباء الجيل مترفقين في نقد من كان قبلهم ... ؟ أو في نقد بعضهم بعضاً أيام الحماس والفتوة ... ؟ لقد كانوا يتبادلون شتائم يخرجون فيها عن حدود الذوق والفن والأدب .. ولاشك أن أمانة النقد الآن — على قلته — قد ارتقت وهذبت . بل هي رقت إلى حد أفسدها ... وهو حد التقارض والمصانعة .

فكيف يفزع من هذا النقد الرفيق من ذلك ماضيه في النقد ؟ أما الأستاذ توفيق الحكيم خاصة فليس له ماض في النقد الأدبي ، وهو لا يميل إلى الاشتباك في المعارك الأدبية ، ولذلك نراه يتخذ أسلوباً « حكيما » في الفزع من النقد .. يقرأ ما يكتب عنه ، ثم يعقد فصلا في أخبار اليوم يتظاهر فيه بأنه يعالج موضوعاً مستقلا ، وما هو في الواقع إلا تبرير لما يؤخذ عليه ... وأستطيع أن أرجع دافع كل مقالة كتبها في ذلك إلى شيء كتب عنه . ثم جاء أخيراً يسأل : ماذا نصنع ؟ تناقش ياسيدي وجهاً لوجه ، وتدفع الحجة بالحجة ، أو تسكت إن أخذتك العزة بالإثم ...

والحق الصريح أن أكثر نتاج الكبار في هذه الأيام لا يعجب الشباب ، ولا يعجب كثيراً من الكبار أنفسهم ، ويعز على الجيل الجديد أن يفجع في أساتذته ، وأن مما يمكن أن يصنعه هؤلاء الأساتذة أن ينفضوا الغبار عن تماثيلهم القديمة المقدسة لدى الشباب . .